العرب
الأربعاء 2021/11/17
السنة 44 العدد 12243

العالم يعيش عدم تسامح إثني وديني

واشنطن – تنامى التعصب الديني والعرقي بشكل متسارع خلال العقدين الأخيرين، حتى أنّه أصبح يهدد أمن جميع دول العالم دون استثناء وليس هناك مكانٍ في منأى عن ذلك.

ويحذّر محللون سياسيون من أن الأمم أصبحت تتأرجح على حافة الهاوية في عالم أصبح فيه انتشار التعصب الديني والعرقي هو القاعدة.

ويقول جيمس دورسي الباحث في شؤون الشرق الأوسط والأدنى إن المجتمعات الغربية وغير الغربية على حدّ سواء ساعدت على تمهيد الطريق نحو الهاوية؛ الغرب بتخليه عن مبدأ ما بعد الحرب العالمية الثانية "لن تتكرر أبدا"، والعالم غير الغربي من خلال عدم اعتناق النهج والفشل في تبني مبدأ "سامح لكن لا تنسى".

وتنظر الولايات المتحدة وأوروبا إلى الأزمات الفردية بدلا من نمط التطورات الذي ينطوي على تهديد، مما يقوض التعرف على المشاكل البنيوية التي تتحدى قيم الديمقراطية والتسامح والتعددية الغربية.

ويرى دورسي أن المعارك الجيوسياسية تستمر على حساب الأبرياء اليائسين. حيث تغذي التوترات وتهدد الاستقرار في وسط أوروبا وشرقها وتفجر كارثة إنسانية في اليمن وأفغانستان. وتسبّب الانقسام العرقي والديني في وجود عشرات الآلاف من المهاجرين من الشرق الأوسط الذين تنقلهم بيلاروسيا بدعم روسي إلى الحدود البولندية. وتوجه عشرة جنود بريطانيين إلى الحدود لمساعدة بولندا في إقامة سياج.

جيمس دورسي

على الحكومات الدينية الخضوع للمساءلة لتحقيق ما تصرح به

جون غرينسبان

الولايات المتحدة مدفوعة نحو حرب أهلية لا مفر منها

ودفع استغلال العداء الديني والعرقي عميق الجذور زعيم صرب البوسنة ميلوراد دوديك إلى التهديد بسحب القوات الصربية من جيش البوسنة والهرسك وإنشاء قوة منفصلة.

وتتعدد العلامات الواضحة على وشك حدوث أشياء مرفوضة في جميع أنحاء العالم من الولايات المتحدة وأوروبا إلى أفغانستان والصين، حيث أصبحت الإسلاموفوبيا ومعاداة السامية من الأمور السائدة. وامتدت التوترات بين الهندوس والمسلمين عبر حدود جنوب آسيا. ويضطهد المسلمون السنة الشيعة في أفغانستان، ويخاطرون بصدامات بين طالبان وإيران. وتعاني الأقليات المسيحية في بلدان شكّلت مهد الديانات الإبراهيمية.

وانضم رجال مثل رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق بنيامين نتنياهو واليهود الجمهوريون في الولايات المتحدة إلى الهجمات المقنّعة المعادية للسامية على رائد العمل الإنساني الليبرالي والناجي من الهولوكوست جورج سوروس بدلا من النّأي بخلافاتهم السياسية والأيديولوجية مع الملياردير عن التهجّم المشوب بالتعصّب الديني والعنصرية.

وشنت الصين هجوما مباشرا على الهوية العرقية والدينية التركية في مقاطعة شينجيانغ الشمالية الغربية التي مرت دون معارضة تُذكر من العالم الإسلامي.

ولا تكمن وسائل التواصل الاجتماعي التي تعمل كمكبرات صوت ومجمعات ومنشئة لغرف الصدى والصوامع في جوهر المشكلة، بل يسببها القادة السياسيون والدينيون والعرقيون والثقافيون الذين يلعبون على إثارة الغرائز البدائية سعيا وراء الشعبية والسلطة.

وينهب أمراء الحرب الطائفيون الدولتين اللبنانية والعراقية ويضعفون مؤسساتهما. وتشير أعمال العنف الأخيرة في بيروت إلى أن هؤلاء، بمن فيهم أمراء الحرب المسيحيون السابقون وحلفاء إيران الشيعة، مستعدون للمخاطرة بجولة ثانية من الحرب الأهلية لتأمين مصالحهم الخاصة، مما يؤدي إلى وقوع بلد متوسّط الدخل في براثن الفقر على نطاق واسع.

وحسب دورسي، يتمثل الحل لهذه المسألة في أنظمة التعليم التي تؤكد على أهمية القيم الإنسانية والأخلاقية والتسامح الديني والعرقي باعتبارها حماية للحكم والسياسة وضمانا لإبقاء التحيز العرقي والديني والعنصرية أمورا محظورة اجتماعيا، لكنه حل على المدى الطويل. أما على المدى القصير فيجب أن تشمل معالجة المشكلة الحوار والمفاوضات.

وأظهرت دراسة حديثة أن قرار جون إف. كينيدي بالسعي لمعاهدة للحد من التسلح بدلا من تصعيد سباق التسلح المنهك والمحفوف بالمخاطر بعد أن فجر الاتحاد السوفييتي أقوى سلاح نووي في العالم في عام 1962 قد نجح، بينما قد لا ينجح تصعيد الصراع.

ويقول دورسي إن الدروس المستفادة من نهج كينيدي عند تطبيقها على التعصب الديني والعرقي تبرز أن على الحكومات والمجموعات الدينية والعرقية التي تزعم الحوار بين الأديان وأشكال الحوار الأخرى أو تؤكد أنها تروج للقيم الديمقراطية والإنسانية أن تخضع للمساءلة لتحقيق ما تصرح به بدل السماح لها بأن تكتفي بوعود وتصريحات جوفاء.

وتتيح رئاسة إندونيسيا هذا العام لمجموعة العشرين التي تضم أكبر اقتصادات العالم فرصة للتأكيد على القيم الإنسانية والديمقراطية وتعزيز إطار للحوار. وتضع الرئاسة "نهضة العلماء"، أكبر منظمة مجتمع مدني إسلامية في العالم تركز على هذه القيم، في المقدمة نظرا إلى أنها تستعد للعب دور في نهج مجموعة العشرين بين الأديان.

وجادل جون غرينسبان أمين التاريخ السياسي في المتحف الوطني للتاريخ الأميركي التابع لمؤسسة سميثسونيان في مقال رأي نُشر في صحيفة نيويورك تايمز بعنوان "آخر مرة انكسرت فيها أميركا"، بأن الولايات المتحدة على الرغم من الاستقطاب عميق الجذور الذي أدى إلى ظهور ديني ولم يكن التعصب العرقي في المقدمة قد تجاوز نقطة اللاعودة. وأشار إلى أن المجتمع المدني أعاد واشنطن من حافة الهاوية أكثر من مرة.

وكتب غرينسبان "نحن لسنا فقط مدفوعين دون إرادة منا نحو حرب أهلية لا مفر منها، بل إن بإمكاننا أن نكون فاعلين في هذه القصة. إن الخطوة الأولى هي الاعتراف بالمخاطر الكامنة في الديمقراطية، وعلينا كي نتقدّم أن ننظر إلى الوراء ونرى أننا لا نواجه انهيارا بل انتكاسة".

وهذه رسالة تصحّ للولايات المتحدة كما تصحّ لبقية العالم.

عنف عرقي في كل مكان

متغيرات تقوي جماعات الضغط الأميركية الرافضة للإسلام السياسي

واشنطن تواجه جبهتين متصادمتين لا تمنحانها حرية الإنصات إلى الإخوان

بات موقف جماعات الضغط الأميركية المطالبة بحظر جماعة الإخوان ووقف التعاطي معها أقوى وذلك بعد التغيرات السياسية في المنطقة العربية والخسارة الكبرى التي منيت بها تيارات الإسلام السياسي، مما يعني أن فشل هذه الأنظمة في تحسين حياة العرب هو انعكاس لفشل استراتيجيات الولايات المتحدة في المنطقة، وهو ما لن ترغب واشنطن في تقبله خاصة بعد أن تحولت المنظمات التابعة للإخوان إلى تحريض المسلمين في الولايات المتحدة على الانعزال عن المجتمع الأميركي.

لا تراجع عن مشروع حظر الإخوان

هشام النجار
كاتب مصري

هذه هي المرة الرابعة خلال ست سنوات التي يقدم فيها السيناتور الجمهوري تيد كروز مشروعًا للكونغرس الأميركي لحظر جماعة الإخوان وتصنيفها كإرهابية، وبدا أنه يدرك أنها مختلفة وأن موقفه جاء نتيجة العديد من المستجدات أقوى من ذي قبل.

وقدم عضو الكونغرس مشروعه مجددًا بعد محاولات عدة سابقة فاشلة في عامي 2015 و2017 ثم قبل نهاية العام الماضي مشفوعًا بإدانة عنيفة لإدارة الرئيس جو بايدن التي اتهمها بمحاباة جماعة الإخوان وممارسة ضغوط على حلفاء واشنطن، خاصة القاهرة، بغرض إطلاق سراح قادتها.

قرن كروز هذه المرة طرحه لمشروع القانون بهجوم عنيف على إدارة الرئيس جو بايدن، مستنكرًا ابتزاز واشنطن لحلفائها في الشرق الأوسط واللجوء إلى حجب المعونات أو أجزاء منها عنهم والتعلل بملف حقوق الإنسان بغرض تمرير مكاسب لجماعة الإخوان رغم الكوارث التي تسببت فيها بدول العالم شرقًا وغربًا، وهو نهج رسمه من قبل الرئيس الأسبق باراك أوباما وإدارته المنحازة إلى تنظيمات الإسلام السياسي.

ضغط مضاد

عكست لهجة كروز الجريئة هذه المرة إرادة من جبهة الرافضين لسياسات الانحياز والمحاباة للإسلام السياسي التي تضم نوابًا غالبيتهم منتمون للحزب الجمهوري لموازنة ثقل جماعات الضغط داخل اليسار الديمقراطي الأميركي والنافذين من السياسيين الذين ظلوا يحملون قناعات وتوجهات إدارة أوباما السابقة، فضلًا عن مراكز بحث ووسائل إعلام ومنظمات حقوقية تضغط في اتجاه مواصلة الدعم والتعاطف مع الإخوان، بصرف النظر عن المتغيرات على الساحتين الدولية والإقليمية.

ظهر ذلك من الإشارة التي أوردها كروز في سياق انتقاداته لإدارة الرئيس بايدن بشأن هذا الملف والمتعلقة بالضغوط التي تمارسها واشنطن من وراء الكواليس للإفراج عن قيادات بجماعة الإخوان معتقلة على ذمة قضايا عنف وتحريض على الإرهاب، مستخدمة ورقة حقوق الإنسان والمعونة العسكرية لابتزاز القاهرة.

ما فعله النائب الجمهوري بالكونغرس هو تدشين مرحلة جديدة للقيام بدور موازنة لما تقوم به بعض جماعات الضغط التي لا تزال متعاطفة مع الإخوان في الولايات المتحدة، ما يعني تعديل موازين القوى الضاغطة وعدم ترك الساحة فارغة لأنشطة كتل اليسار الديمقراطي، وهو ما يجعل الإدارة الأميركية حيال جبهتي ضغط متصادمتين لا تمنحانها الحرية الكافية للرضوخ لإملاءات داعمي الإسلام السياسي.

لو لم يحظ مشروع القانون الذي قدمه النائب تيد كروز بالموافقة عليه تمهيدًا لإصداره فهو يمثل أداة ضغط مضادة على الإدارة الأميركية كابحة لكل سياسات الانحياز إلى الإسلام السياسي، وربما تمهد مستقبلًا لإعادة النظر في كيفية التعاطي مع هذا التيار كخطوة في طريق حظره.

تزامنت تحركات نواب الكونغرس مع انعقاد الحوار الاستراتيجي بين الولايات المتحدة ومصر يومي الثامن والتاسع من نوفمبر الجاري، ما يعني منح جماعات الضغط الصاعدة الرافضة للإسلام السياسي في الولايات المتحدة بعض الأفضلية عبر توفير المناخ السياسي المواتي الكاشف للعديد من الإشكاليات الملتبسة في هذا الملف، خاصة في مجال حقوق الإنسان.

ووظفت جماعة الإخوان الملف الحقوقي للتغطية على نشاطها الإرهابي المسلح، في نفس الوقت الذي يوظفه آخرون لابتزاز وتمرير مكاسب سياسية للإخوان على حساب العلاقة الحيوية بين واشنطن والقاهرة.

وجد تيد كروز ورفاقه أنفسهم في وضعية أفضل بعد كارثة الانسحاب الأميركي من أفغانستان وتداعياتها السلبية على حلفاء الولايات المتحدة في الشرق الأوسط والتي هزت ثقتهم فيها كشريك استراتيجي، في وقت عزز مكانة منافسي واشنطن وخصومها مثل روسيا والصين وإيران.

وضح أن ما بعد الانسحاب الأميركي من أفغانستان ليس كما قبله في عمليات إعادة الاصطفاف وتعديل التحالفات وفتح باب الحوار مع خصوم وأعداء سابقين التي تجري بالمنطقة، ما يعني تزعزع الثقة في دور واشنطن كحارس الأمن وكحام أول لحلفائه، ما قاد إلى تحركات عواصم عربية في اتجاه وأد خصومات سابقة وتحسين للعلاقات مع إيران وتركيا، وهذه الأخيرة لديها تجربة في عدم الثقة بواشنطن كحليف، وتشبيك علاقات قوية مع منافسيها.

تستفيد جبهة تيد كروز من هذه التحولات الدقيقة من جهة القول بفقدان واشنطن لمكانتها لصالح خصومها ومنافسيها في سبيل مواصلة دعم تنظيمات ثبت فشلها وصارت عبئًا على كل من رعاها ومد لها يد العون.

سقوط وانفصالية

يمثل السقوط المتتالي لفروع جماعة الإخوان في المنطقة العربية وصولًا إلى تونس والمغرب، وربما لاحقًا ليبيا في الانتخابات الرئاسية والبرلمانية المقبلة، متغيرًا مهمًا من شأنه تقوية جماعات الضغط الرافضة لإقامة علاقات قوية مع حركات الإسلام السياسي والمطالبة بحظرها.

لطالما تحججت الإدارات الأميركية المتعاقبة وجبهات الضغط في اتجاه دعم الإخوان ومراكز البحث التي ترفض حظرها وتصنيفها تنظيمًا إرهابيًا بأن فروع هذه الجماعة تحكم في العديد من العواصم العربية، فكيف تتعامل واشنطن مع كيانات تابعة لجماعة محظورة، بالتوازي مع إدعاءات الأحزاب المرتبطة بالإخوان أنها مُنعت من الحكم ولا تستطيع تنفيذ برنامجها، وهي الحجج التي سقطت بالسقوط الكبير للإخوان في مصر سياسيًا وفكريًا، ثم السودان وتونس وأخيرًا المغرب بعد سنوات طويلة قضتها في السلطة.

بات موقف جماعات الضغط المطالبة بحظر الإخوان ووقف التعاطي معها أقوى، إذ بوسعها تخطئة موقف الجبهات التي تنظر إلى الإخوان وتيار الإسلام السياسي كونهم شركاء جيدين يسعون لتحسين حياة العرب والمسلمين بما يعزز نفوذ الولايات المتحدة بعد أن صار هناك شبه إجماع عربي على أنها جماعة فاشلة في الحكم، نشرت البؤس والفساد وافتقرت إلى الخبرات السياسية وعجزت عن الانتقال من المعارضة إلى الحكومة.

ويُعد فشل جماعة الإخوان فشلًا لمن دعموها ودافعوا عنها ومنحوها الغطاء السياسي وسوف تنعكس كوارثها بالمنطقة العربية على نظرة الشعوب العربية إلى كل من يرعى هذا التيار، وهو ما لا تريده واشنطن ويناقض الهدف الرئيسي الذي حددته لدعم مشروع الإسلام السياسي في الحكم بعد ما عُرف بالربيع العربي.

ما وضح للجميع بشأن سلوك الإخوان في دول الشرق الأوسط نسف فرضيات بنتها إدارة أوباما ولا يزال البعض يتبناها متعلقة بمزاعم أن العمل مع المتشددين وإرضاءهم يحولهم إلى معتدلين ويبادلون الولايات المتحدة الجميل ولن يضمروا لها الشر ما يسهل على واشنطن فك الارتباط بالمنطقة.

وأدّت تلك الأوهام إلى خسائر باهظة للولايات المتحدة، حيث ثبت في كل البلاد التي عملت فيها جماعة الإخوان أنها على مستوى الأيديولوجيا والممارسة لا تختلف عن غيرها من الفصائل التكفيرية وجماعات السلفية الجهادية، وهي الأكثر قابلية من غيرها للانخراط في الفساد والانقسامات.

سقوط فروع الإخوان يقوي جماعات الضغط الرافضة لإقامة علاقات مع حركات الإسلام السياسي والمطالبة بحظرها

جعلت المتغيرات الكبيرة بالمنطقة العربية والتي شهدت بلدانها انتفاضات شعبية ضد حكم الإخوان وإقصاء شعبيا للجماعة من الحكم من طريق الصناديق من منطلق زرع هذه الجماعة الفوضى وعدم الاستقرار في العالم العربي وتسببها في انهيارات اقتصادية واجتماعية كارثية، مصطلح الاعتدال الذي خدعت به الجماعة قطاعًا من الأميركيين مجرد عنوان وهمي انقضت صلاحيته ولم يعد قابلًا للرواج وإعادة التدوير.

ويجد تيد كروز وكتلته في ما جرى من متغيرات كبيرة ما له صلة بتعاطي بعض الحكومات الأوروبية مع أنشطة الإسلام السياسي وجماعة الإخوان وممارساتها التي تعزز الانفصالية والانعزالية داخل المجتمعات الأوروبية دافعًا قويًا لمطالبة الإدارة الأميركية باتخاذ إجراءات مماثلة ضد الإخوان، حيث لا تختلف خطط وأهداف الجماعة في الولايات المتحدة عنها في دول أوروبا.

وكما فعلت فروع الجماعة في أوروبا وقادت قطاعات من المسلمين إلى الانعزالية عن مجتمعاتهم في الغرب، حرضت جماعة الإخوان عبر أنشطة منظماتها على الانعزال عن المجتمع الأميركي وغذت التمرد على القوانين الأميركية من جهة زعم عدم توافقها مع الشريعة الإسلامية.

وقاد هذا إلى مطالبات بتأسيس أنظمة تعليمية واجتماعية وثقافية وقضائية خاصة بالمسلمين، وبطبيعة الحال ستكون الجماعة المشرفة والمهيمنة عليها لتخطو خطوة مهمة في تأسيس دولتها الانفصالية الموازية، كخطوة تجد الجماعة أنها واجبة التنفيذ تمهيدًا لتحقيق مشروع التمكين الكبير للجماعة ليس فحسب في الشرق الأوسط، بل التمكين العالمي لتحقيق هدف مؤسسها النهائي المتعلق بإقامة خلافة إسلامية عالمية.

وتسعى الجماعة لتحقيق هذا الهدف في الولايات المتحدة من خلال مجموعة من المنظمات الفاعلة داخل المجتمع في مقدمتها "الجمعية الإسلامية لأميركا الشمالية" والتي تدير غالبية المساجد والمراكز الإسلامية، و"مجلس العلاقات الإسلامية الأميركية" و"الصندوق الإسلامي الأميركي الشمالي"، وهذه المجموعات لديها فروع في كندا.

كما أن هناك تسعا وعشرين منظمة أخرى تعمل في الولايات المتحدة تحت مظلة ما أطلقت عليه وكالة التحقيقات الفيدرالية الأميركية "منظمة الإخوان المسلمين الدولية" والتي تأسست في الثمانينات.